آثار أخرى

الطرق الرومانية:

لقد سبقت الإشارة إلى الطرق الرومانية في برقة[1]. أما بالنسبة لمنطقة طرابلس فنحن نعتمد فيما نعرفه عن شبكة الطرق الرومانية فيها على الوثائق القديمة والمخلفات الأثرية. ووثائقنا في هذا الصدد هي:

1- خارطة مصورة تبين الطرق في الإمبراطورية الرومانية وترجع على الأرجح إلى عصر الإمبراطور كمودس (180 – 193 م.) وهي المسماة تابُلا بيوتنجيريانا (Tabula Peutingeriana).

2- رحلة أنطونين (Antonine) في مطلع القرن الميلادي الثالث.

أما المخلفات الأثرية فتنحصر في حجارة الطرق.

وحتى الآن لم تكتشف خارج المدن الساحلية في منطقة طرابلس آثار أية طريق رومانية مرصوفة، مما يجعلنا نفترض أن تلك الطرق كانت، حتى الرئيسية منها، طرقاً ترابية. وأقدم حجارة الطرق في هذه المنطقة يرجع تاريخها إلى عهد كراكلا (211 – 217 م.)؛ وهي في العادة عبارة عن حجارة كلسية أسطوانية الشكل يبلغ ارتفاع الواحد منها حوالي سبعة أقدام، ويبلغ نصف قطره حوالي خمس عشرة بوصة، وكان يثبت في ثقب مناسب في قاعدة حجرية مستطيلة ومنفصلة عنه. وقد وجدت حجارة بيضوية الشكل وأخرى على شكل أعمدة قصيرة ذات أربعة أوجه. وكان ينقش على هذه الحجارة أسماء ولقب الإمبراطور الحاكم وطول المسافة بالأميال الرومانية[2]. وقد نجد في المكان الواحد أكثر من حجر واحد يرجع إلى عهود أباطرة مختلفين. والجدير بالملاحظة أن الحجر الكراكلِّي ظل حتى وقت متأخر مستعملاً أكثر من غيره في ضواحي المدن الساحلية ولكن الأنواع الأخرى شاع استعمالها في بقية أنحاء منطقة طرابلس. أما الجزء الذي لم يلحقه تغيير كبير فهو القاعدة الحجرية.

1- انظر ص 387 – 388 أعلاه.

2- كان الميل الروماني يساوي (1480) متراً أي (1616) ياردة.

وتشير الوثائق والحجارة الأثرية إلى وجود خمس طرق رئيسية في منطقة طرابلس:

1- الطريق الساحلي: وكان عبارة عن الجزء الطرابلسي من الطريق الساحلي الكبير الذي كان يربط الاسكندرية بقرطاجة. وقد تم التعرف على ما يزيد عن ستة عشر حجراً من حجارة هذا الطريق داخل منطققة طرابلس.

2- طريق الجبل: وهي طريق عسكرية استراتيجية كانت تسير على محاذاة خط توزيع المياه على طول الجبل من لبدة إلى قابس. وقد شملت طريقاً أقدم منها ترجع إلى أيام البروقنصل ل. إيليوس لاميا «L. Aelius Lamia» . وكانت تمتد من لبدة إللى نقطة تقع قرب ترهونة الحديثة؛ وقد اكتشف عدد من حجارة هذه الطريق.

3- طريق دورة الجبل الشرقي: وهي طريق كانت تصل لبدة بأويا وكانت تسير إلى الجنوب من الطريق الساحلي الرئيسي مارة بالجبل الشرقي حتى تقطع طريق الجبل (رقم 2). ومن هناك تستمر إلى عين شرشارة ومن ثم تتجه إلى الشمال الغربي عن طريق وادي الرملة وتعتبر سهل الجفارة إلى أويا.

4- الطريق الوسطى: وهي طريق كانت تربط أويا بمزدة مارة بجوار غريان وليس لهذه الطريق ذكر في أية وثيقة قديمة ولكن ثبت وجودها باكتشاف حجارة أميال في القسم الواقع بين غريان ومزدة حيث كانت الطريق القديمة تساير الطريق الحالية.

5- طريق سوف الجين: هذه الطريق أيضاً لم يرد لها ذكر في أية وثيقة قديمة. ولكن ثبت وجودها باكتشاف عدد من حجارتها. وقد كانت تصل مزدة بنقطة على طريق الجبل في منطقة الزنتان عبر أعالي وادي سوف الجين.

محطات الطرق:

كانت محطات الطرق تختلف في حجمها وطبيعتها؛ فبعضها كانت

مجرد علامة بارزة على الطريق. وبعضها كانت تقام فيها قلاع محصنة للدفاع عنها باعتبارها مواقع استراتيجية. والبعض الآخر منها كان في مناطق زراعية مما جعلها تنمو وتتحول إلى قرى عامرة على جانبي الطريق. وقد تم مؤخراً مسح ثلاث من هذه القرى:

القرية الأولى تقع على بعد ثمانية كيلومترات إلى الشمال الشرقي من ترهونة وعلى بعد كيلومترين إلى الجنوب من قصر دوغا (Doga). وفيها آثار كثيرة منتشرة ولكنها لم تكتشف وتدرس إلا أنها على أي حال تدل على أن هذه القرية كانت عبارة عن مستوطنة قديمة. وربما لا نخطيء إذا قلنا إنها هي مستوطنة مسفي (Mesphe) التي تظهر كأول محطة على طريق الجبل بعد لبدة في رحلة أنطونين. وهي تعرف الآن محلياً باسم مدينة دوغا. وموقعها موجود في منخفض وسط كروم الزيتون وتقطعه طريق تمتد باتجاه الشمال الشرقي من ترهونة. ويمكن مشاهدة حمام بين الآثار الظاهرة الواقعة إلى جنوب هذه الطريق. وحمام آخر أصغر حجماً إلى الشمال منها. وبعد هذا يمكن مشاهدة بناية كبيرة معمدة وساحة مستطيلة ربما كانتا تشكلان مؤسسة عسكرية. وإلى الشمال الغربي من موقع هذه القرية أثري اكتشف فيه مناضد حجرية كان الجرامنتيون يستخدمونها ليقدموا عليها ما يقدمونه لموتاهم.

والقرية الثانية كانت إلى الغرب من محطة مسفي وهي قرية تنداسا (Thenadassa) وفقا لرحلة انطونين وقد تم التعرف عليها مؤخرا بين مجموعة مهمة من الخرائب في عين ويف على بعد كيلو مترين إلى الجنوب من طريق ترهونة – غريان في مكان يبعد خمسة عشر كيلومتر غربي قرية تزولي (Tazzoli) و تقوم أنقاض هذه الخرائب على مرتفع يطل من الشرق على العين التي سمي الموقع باسمها. و تخترق هذا الموقع من الشمال إلى الجنوب الطريق الحديثة القادمة من وادي حمام. و بالرغم من انه لا يوجد بين آثار هذه القرية ما يدل على أنها كانت محصنة عسكريا إلا أن بعض النقوش التي وجدت على أثارها و هي من عهد سبتيموس سيويرس وتوجد حاليا بمتحف السرايا الحمراء بطرابلس – تدل على أن هذه المحطة كانت ذات

طابع عسكري. أما المستوطنة الثالثة فتوجد أثارها إلى جانب طريق الجبل في منطقة قصر الداوون (Gasr ed Dauun)عند ملتقي وادي الملي(El me) برافد صغير وهو شعبة الخيل (Sciabet el Kheil) على يسار طريق القصبات – ترهونة الحديثة. وتدل الأساسيات المنتشرة هنا و هناك، ومصاطب الاسمنت على أن هذه المستوطنة كانت تقوم على جانبي الطريق الرومانية على كلتا ضفتي الوادي. ويبدو أن هذه المحطة كانت ذات طابع تجاري لان موقعها كان مهما تجاريا أكثر منه عسكريا.

القلاع:

اكتشفت في مسلّتين بوادي مردوم على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا إلى الشرق من بني وليد قلعة من النوع الروماني الشائع تبلغ مساحتها (28 × 28) مترا مربع. وتعرف هذه القلعة محليا باسم قصر بو الأركان (Bularkan) وهي تقوم على أساس مربع وتبرز منها سبعة أبراج مربعة: واحد في كل ركن وواحد في منتصف كل ضلع من أضلاعها باستثناء الضلع الجنوبي الشرقي التي يوجد به مدخلها الوحيد الضيق الذي يؤدي إلى ممر قصير يفضي بدوره إلى فناء مربع تحيط به «البراكات» والاصطبلات. ولا تزال أجزاء كثيرة من جدرانها قائمة بالارتفاع التي كانت عليه في الأصل، ويتكون بناؤها من وجهين ملئ الفراغ فيما بينهما بحشوه من الطين و قطع الحجارة. و الوجه الخارجي مبني من حجارة كلسيه كبيرة مكعبة هذبت قليلا. ويرجع تاريخ هذه القلعة إلى القرن الميلادي الرابع.

وكان خط الدفاع السويري الأول يتكون من ثلاث قلاع كبيرة وجدت آثار كثيرة لاثنتين منها هما قلعة بونجيم وقلعة القرية الغربية. أما القلعة الثالثة فهي قلعة غدامس التي لم يعثر عليها حتى الآن. وتقع قلعة بونجيم في واحة صغيرة على بعد حوالي مائتي كيلومتر إلى الجنوب من مصراتة على طريق القوافل الشرقي المار بالجفرة (giofra) إلى فزان و الجدار المحيط بهذه القلعة من الخارج مبنى من حجارة الأنقاض والطين ومطلي بالقصارة، وهو يشكل مستطيلا مساحته (36×91) مترا مربعا ولكن أركانه ليست زوايا وإنما نحتت على شكل جانب اسطوانة وربما كان يقوم على كل ركن

منها برج داخلي وكانت في كل ضلع من أضلاع هذا الجدار الأربعة بوابة واحدة تفضي إلى القلعة وكانت كل واحدة من هذه البوابات عبارة عن مدخل ذي قوس واحد يقوم برج على كل من جانبيه وكانت البوابة الشرقية كبرى هذه البوابات.وقد نقشت على حجر الغالق في كل من الأقواس الأربعة صورة نسر ونقش فوق الصورة إن القلعة بنيت سنة 200 – 201 م. من قبل كوينتوس انيسيوس فاوستوس (Anicius Faustus Quintus) قائد فرقة أوغستا الثالثة وتوجد الآن ثلاثة من هذه النقوش في متحف السراي الحمراء في طرابلس.

إما قلعة القرية الغربية فهي في واحة على بعد ثلاثمائة كيلو متر إلى الجنوب من طرابلس وبالقرب من الحافة الشرقية للحمادة الحمراء في موقع استراتيجي على طريق القوافل الوسطى إلى فزان.وكانت هذه القلعة تقوم على نتوء من الأرض يرتفع على شكل مهماز ذي جوانب شديدة الإنحدار ويبرز باتجاه الجنوب الغربي مطلا على الوادي الذي تقع فيه الواحة وكانت هذه القلعة تشبه قلعة بونجيم في مخططها ولكنها تبلغ ضعفها من حيث المساحة (132×183) مترا مربعا وقد أثير موقع هذه القلعة إلى حد كبير بسبب بناء قرية بربرية عليها والبوابة الوحيدة التي مازالت في حالة جيدة هي البوابة الشمالية الشرقية ويتكون مدخلها من باب ذي قوس ثلاثي كما يقوم برج على كل من جانبيه وعلى غالق هذا القوس حفرت كلمات لم يعرف المقصود بها حتى الآن وهي: (PRO AFR ILL) ويدل النقش على حجر وجد في قرية البربرية على ميل من الموقع (والحجر الآن في متحف طرابلس) على إن هذه القلعة بنيت في عهد اسكندر سيويرس بين 230 – 235 م وتظهر على القوس الأيسر رسوم كانت بارزة ولكنها أمحت إلى حد كبير وهي عبارة عن صورة نسرين تحف بهما صورة آلهة النصر المجنحة و يظهر دونهما في الزاوية اليمنى مذبح ملتهب والبوابتان الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية أدمجتا في أبنية أقيمت في وقت لاحق ولكن لا يزال باديا منهما ما يقيم الدليل على أن كلا منهما كانت ذات مدخل واحد ينتصب برج على كل من جانبيه أما البوابة الجنوبية الغربية فلم يعثر لها على اثر

وبالنسبة للجدار الخارجي الذي كان يحيط بالقلعة فإن ركنه الشمالي لا يزال قائما ويبلغ سمكه مترا ونصف المتر وهو مبني من حجارة خشنه وقد وجه القسم السفلي منه بحجارة متوسطة الحجم بينما بني القسم العلوي بحجارة اصغر حجما نحتت لها حواش أفقيه وكما هي الحال في قلعة بوتجيم فان أركان هذه القلعة لا تشكل زوايا وإنما نحتت على جانب اسطوانة ويدل وجود نافدة مقوسة في الطابق العلوي على إن القلاع كانت مزودة ببروج داخلية.

وفي ختام حديثنا عن القلاع لا بد أن نشير إلى ذلك النوع من القلاع الرومانية الصغيرة التي تتمثل في قلعة الحراس المعروفه باسم قصر ذويب وسنتحدث عن النوع ضمن حديثنا عن المزارع المحصنة.

مزارع الزيتون ومعاصره:

تنتشر آثار مزارع الزيتون ومعاصر زيت الزيتون بكثرة في منطقة طرابلس وخاصة في مناطق زراعة الزيتون في الجبل الشرقي ويبين المخطط رقم (7) نموذجا لمعاصر الزيتون الرومانية التي كانت شائعة في منطقة طرابلس وكانت حبوب الزيتون توضع في وعاء مخرم يرتكز على فرشة حجرية تؤدي بالزيت المعصور إلى مستودع متصل بها وكان يقع فوق حبوب الزيتون الموضوعة في الوعاء المخرم مكبس متصل بذراع طويلة برافعة خشبية ثبت طرفها السميك إلى أسفل بقضيب خشبي مثبت بإحكام في ثقوب بين عمودين حجريين ضخمين وترك طرفها الأخر طليقا بحيث يسمح بشد الذراع إلى الأسفل بواسطة حبل أو بكرة مثبتة في قطعة حجر ضخمة داخل حفرة في مصطبة المعصرة. والعمودان الحجريان اللذان كثيرا ما كان يظن إنهما نصب ترجع إلى عهد ما قبل التاريخ هما عادة أبرز آثار معصرة الزيت الرومانية وكان ارتفاعهما عشرة أقدام أو أكثر وقد يتكونان من قطعة واحدة أو من عدة قطع حجرية وكان هذان العمودان يقومان متقاربين وعلى أساس واحد وتضمهما من أعلاهما قطعة حجرية واحدة غالبا ما توضع عليها قطع أخرى لتزيد الثقل وقد تدخل أطراف بارزة لبعض تلك القطع في جدار خلفها زيادة في المتانة وكانت تعمل الثقوب لقضيب التثبيت الخشبي

في العمودين على ثلاثة ارتفاعات مختلفة وفي بعض الحالات كان وعاء حجري يوضع إلى جانب العمودين ليسحب إليه قضيب التثبيت الخشبي عند عدم الحاجة لاستعماله.

إما آثار مزارع الزيتون القديمة فنحن نجدها في أحسن حالاتها في المناطق الخارجة عن حدود مزارع الزيتون الحالية ولنأخذ واحد منها كمثال وهي هنشير سيدي حمدان وتقع على بعد عشرة كيلو مترات إلى الجنوب الشرقي من قصر داوون على الطريق إلى وادي ترغلات وهذه المزرعة من اكبر مزارع الزيتون التي اكتشفت في هذه المنطقة وربما كانت ترجع في تاريخها إلى القرن الميلادي الثاني.

وبالإمكان استنتاج ما كان عليه مخططها العام من المعالم الحجرية لجدرانها وهي معالم مازالت قائمة في أماكنها الأصلية في الوقت الذي تحول فيه باقي البناء إلى ركام فقد كانت نواة البناء جميعه ساحة مستطيلة محاطة على جوانبها الأربعة بصفوف من الغرف إلى ربما كانت مساكن للعمال ومخازن وما شابة ذلك. وخلف الطرف الجنوبي الغربي للساحة صغيرة مكشوفة يجرى الدخول إليها من البوابة مقوسة تفضي إليها مباشرة من الخارج من الزاوية الجنوبية للجدار الخارجي المحيط بقلعة المزرعة. ويدل وجود أحواض سقاية حجرية على أن هذه الساحة ربما كانت حظيرة للحيوانات. وكان يحيط بجوانب هذه القلعة الثلاثة: الشمالي الغربي، والشمالي الشرقي، والجنوبي الغربي ممر يتم الدخول إليه من الخارج من بوابة مقوسة في الطرف الغربي للجانب الجنوبي الغربي وكان هنالك ممر أخر داخلي يفتح في مواجهة الفراغ الجنوبي الغربي من الممر ويسير بين الساحة الرئيسية وبناء مستطيل يشمل عدة غرف ويشغل الجزء الشمالي الغربي من القلعة وتبدو في هذه البناء المستطيل آثار لسبع معاصر زيتون مما يشير إلى أن هذا البناء كان مصنعا لزيت الزيتون مقام في هذه المزرعة. أما الغرف الواسعة بين المعاصر فيبدو أنها كانت تستخدم مخازن لحبوب الزيتون. وكانت في الركن الشرقي من البناء معصرتان زيت منفردتان وكان فيه أيضا جناح يعتقد انه كان منزلا لصاحب المزرعة أو وكيلها. وكان هذا الجناح محاطا من

الجهة الجنوبية الشرقية بممر له بوابة في نهايته الشمالية. ويمتد على طول الجانب الجنوبي الشرقي للقلعة. وكانت هذه القلعة تتلقى مياهها من خزان قائم على سفح تله تقع على بعد مائة وأربعين ياردة إلى الجنوب الشرقي من القلعة.

الفيلات:

تتميز الفيلات التي كان الأغنياء يشيدونها في ممتلكاتهم الريفية عن بقية منازل المزرعة العادية بوجود صفوف من الأعمدة وبالفسيفساء وبزخارف الدهان على جدران وبالحمامات المنزلية وغيرها من المرافق والتسهيلات الكمالية. وكان الموقع المثالي للفيلا أن تكون قريبة من البحر بحيث يسهل على صاحبها الوصول إليها من المدينة التي يقيم فيها عادة وبالرغم من ان العدد الذي وجد من هذه الفيلات داخل الريف هو عدد قليل إلا انه لم يتم التعرف بشكل قاطع على أية فيلا خارج الشريط الساحلي. وقد تتمكن الحفريات في المستقبل من إثبات وجود فيلا في عين الشرشارة على بعد حوالي ستة كيلو مترات إلى الشمال الغربي من ترهونة حيث اكتشفت مؤخرا آثار ممر معمد مستور وبقايا فسيفساء رصفت بها أرضه. ويبدو من المحتمل أنهدا الممر كان يصل العين ببناية كانت فيلا على الأرجح على مسافة قريبة إلى الجهة الجنوبية الغربية.

ومعظم الفيلات الساحلية وجدت في حالة من الحرب لم تسمح بإعادة تخطيطها والمحافظة عليها كمواقع أثرية ولذلك فانه بعد أن جرى مسح هذه المواقع ونقل الفسيفساء المهمة منها أعيد دفن تلك المواقع من أجل المحافظة عليها وهنالك نموذج جيد لهذه الفيلات يمكن للزائر أن يشاهده في فيلا داربوك عميرة القائمة على رابية منخفضة من الصخور الرملي تطل على خليج صغير على بعد حوالي كيلومترين ونصف الكيلو متر إلى الغرب من مرفأ زليطن وتشمل هذه الفيلا غرفا وساحة واسعة ومكشوفة يقوم على طول جهتها الغربية صف من الغرف ووحدة حمامات منزلية وتقوم جدران هذه الفيلا ومصاطبها مباشرة على أساس ممهد من الصخر الرملي وكانت الجدران نفسها مبنية من الحجر الرملي الأحمر الذي طلي بالقصارة

نظرا لخشونتها وقد وجدت بعض مخلفات الفسيفساء وصور الدهان في الغرف هذه الفيلا ونقلت إلى متحف طرابلس ونذكر هنا أننا سبق أن اشرنا إلى قطعة الفسيفساء المشهورة التي تصور نشاهد من المسرح المدرج والتي وجدت في هذه الفيلا ونقلت أيضا إلى متحف طرابلس هي وقطعة أخرى تمثل فصول السنة مشخصة.

المزارع المحصنة:

تنتشر المزارع المحصنة بكثرة في الجبل الشرقي وعلي طول الأودية الواقعة على جنوبه وخاصة وادي سوف الجين وروافده وقد وجدت أمثلة متعددة منها كذلك في منطقة سرت الساحلية بين بويرة الحسون ومدينة السلطان وليس هناك أي فرق أساسي بين أبنية المزارع المحصنة المختلفة باستثناء أن مزارع الجبل كانت في الأغلبية تحاط بخندق.

وكانت بناية المزرعة المحصنة عبارة عن بناء على شكل مربع أو مستطيل له مدخل واحد يفضي إلى فناء داخلي يتقابل فيه طبقان أو ثلاثة من الغرف ويعطينا المخطط رقم (9) نماذج تمثل المخططات المتنوعة الأبنية المزارع المحصنة. ويمكن تميز أبنية المزارع القديمة من غيرها من نوع حجارتها. ومن أحسن أمثلة هذا النوع قصر البنات القائم الضفة اليسرى من وادي نفد على بعد خمسة كيلومترات إلى الجنوب من جبل سدادة. وهو بناء يشغل مساحة مستطيلة تبلغ حوالي (25×21) متراً مربعاً. ولكن أركانه لا تكون زوايا بل نحتت على شكل جانب أسطوانة. ومدخله الوحيد في جداره الطويل المواجه للوادي. وهو قائم إلى اليسار قليلاً عن وسط الجدار. والأجزاء من هذا البناء مهدمة مردومة. إما جدرانه الخارجية فلا تزال قائمة بارتفاع ستة أمتار تقريبا وهي مبنية بنوع جيد من الحجر الكلسي. ومستوى النحت المستخدم في الأبنية السويرية كالقوس المثلث في بوابة قلعة القريات الغربية. وليس بين ما اكتشف من أبنية المزارع المحصنة حتى الآن ما يشبه هذا البناء إلا بنايتان هما: قصر القريات الشرقية وقصر الفاسقية الخرب في وادي زمزم. وربما كانت هذه البنايات الثلاث من أقدم البنايات التي شيدت وفقا لخط الدفاع

الطربلسي الذي أقامه اسكندر سيويرس فهي بذلك نماذج أولى لقلاع المزارع المحصنة وكان تشييدها على أيدي مهندسين عسكريين من الرومان.

والمزارع المحصنة التي أقيمت في وقت لاحق وهي الأكثرية ليست ذات قيمة كبيرة من حيث فن النحت والبناء. والتفحص لقصر ذويب وهو رسميا قلعة حراسة، يستطيع إن يتبين السرعة الهائلة التي انحط بها فن النحت والبناء؛ فهذا القصر لا يختلف من حيث فن النحت والبناء عن المزارع المحصنة. ويقع هذا القصر في وادي ذويب على بعد خمسة كيلومترات من نقطة التقائه مع وادي سوف الجين وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من الزنتان. وتدل النقوش على أنه بني بين سنة 244 م. وسنة 246 م. ويدل مخططه الذي يتميز بعدة أمور غير مألوفة على أنه كان يشغل مساحة مربعة تقدر بحوالي (16×16) متراً مربعاً. وله مدخل واحد في وسط جانبه الجنوبي الشرقي يفضي إلى ممر ينتهي إلى فناء مركزي أقيمت الغرف حوله على شكل طابقين. وكان هنالك بيت درج خشبي يوصل إلى باب في الواجهة المقابلة للمدخل ويتم الصعود منه إلى الطابق العلوي. وقد أدخلت على هذا القصر تعديلات وإصلاحات كثيرة في أوقات لاحقة وخاصة مقدمته من ناحية الجنوب الشرقي التي أقام لها المسلمون فيما بعد واجهة خارجية جديدة. والمدخل الرئيسي الأصلي يقوم الآن في الجدار الإسلامي، ونصفه الأيسر هو الروماني فقط. أما باقيه فقد أدمج في الواجهة الإسلامية. وسقف الممر الحالي المقوس هو إسلامي أيضا وقد كان سقفه في الأصل خشبياً مستوياً يرتكز على دعائم خشبية. كما أن بعض غرفه الداخلية كانت في الأصل ذات سقوف معقودة بينما كان البعض الآخر منها مسقوفا بالخشب المستوي مند البداية. وربما كان هنالك برج يبرز فوق المدخل منفصلا عن الطابق الثاني.

ولم تكن المزارع المحصنة التي أقيمت في وقت لاحق مبنية بعدم اهتمام كما في حالة قصر ذويب؛ فهنالك قرب بير شدوة (Scedeua) في وادي سوف الجين وعلى بعد حوالي خمسين كيلومتراً إلى الشرق من مزدة مجموعة من البنايات في حالة جيدة. وهي وإن كانت تشبه قصر ذويب بشكل عام إلا

أن حجارتها نحتت بعناية فائقة، ولا تزال واحدة منها. تشبه البرج وتتكون من ثلاث طبقات، قائمة بارتفاعها الطبيعي تقريبا. وهنالك مزرعة محصنة أخرى على الضفة اليسرى من وادي سوف الجين وعلى مسافة قليلة إلى الغرب من بئر النسمة وهي غنية بالزينة وبالأعمدة. ويرجع تاريخها إلى أواخر القرن الميلادي الثالث أو إلى أوائل القرن الميلادي الرابع، وهي دليل ساطع على التقدم الزراعي الذي أحرزته مزارع الحدود.

والغالب على المزارع المحصنة أن توجد منتشرة على جوانب الأودية وبمعدل واحدة كل كيلومتر أو أكثر منه قليلا. وفي بعض الحالات التي يلتقي فيها رافدان أو ثلاثة من روافد الأودية في نقطة معينة مما يؤدي إلى وجود أراض زراعية واسعة كان يحدث أن تدمج عدة مزارع في قرية واحدة كما هي الحال في قصر السوق اللوطي في وادي بزرة. وفاسقية الحبس في وادي مردوم وقصر الخنافس في وادي شظاف. وربما كان أحسن الأمثلة على هذا الاتجاه هو ما نجده من آثار في وادي غرزة على بعد حوالي خمسة كيلومترات من نقطة التقائه بوادي زمزم حيث لا تزال توجد آثار ما يزيد عن ثلاثين بناية كبيرة وعدد آخر من البنايات الصغيرة كانت تقوم جميعا حول مصب رافد صغير على الجانب الأيسر من الوادي الرئيسي. وبنايات مزارع هذا الوادي تشبه ما سبق أن وصفناه من مثيلاتها. والجدير بالملاحظة في هذا الصدد هو أن الخشب مستعمل على نطاق واسع في هذه البنايات ولا تزال قطع منه تشاهد في مواقعها الأصلية. وقد تم التعرف مؤخرا على عينة من هذا الخشب فتبين أنه من نوع من شجرة الأكاسيا المعروفة محليا باسم «طلحة» وهي لا تزال تنمو في مجرى هذا الوادي إلى أيامنا هذه. وإذا ما قارنّا بين أبنية هذا الوادي وبناء مزرعة بئر النسمة من حيث فن النحت والبناء فإننا سنجد أن الزينة والزخرفة غير موجودة في الأبنية ومقصورة فقط على الأضرحة في هذا الوادي.

السدود:

لقد سبقت الإشارة إلى سد التحويل في وادي لبدة والسدود الأخرى التي

كانت تكوّن خزانات مائية في أجزاء وادي كعام السفلي. وهنالك سدان آخران بأحجام مشابهة مبنيان من الأسمنت في موقع سيدي الجيلاني في وادي المجينين وعلى بعد أربعة وخمسين كيلومترا جنوبي طرابلس. وهما يقومان متلاصقان في أدنى مجرى الوادي بعد السد الحديث مباشرة. وأقدم هذين السدين وأقربهما إلى الشمال – وهو في حالة جيدة على امتداد مائة متر تقريباً– يمتد شمالا وجنوبا. ويعود تاريخ إنشائه إلى الوقت الذي كان فيه تيار الوادي ينصب عموديا، تقريبا، على مجراه الحالي. ويبلغ سمك هذا السد في أجزائه العلوية مترا واحدا، ولكن هذا السمك يزداد إلى ثلاث أمتار عند الأساس. وقد أضيفت إلى هذا السد بنايات تقوية في أوقات لاحقة وخاصة عند نهايته الجنوبية الشرقية التي يبدو أن قوة التيار كانت تنصب عليها. وفي نهاية الأمر دار التيار حول السد من نهايته الغربية وذلك عندما تحول مجرى الوادي إلى ما هو عليه حالياً. ولهذا السبب أقيم السد الثاني الممتد من الشرق إلى الغرب، وكان طوله الأصلي مائة وعشرين مترا إذا ما استثنينا جناحا طوله خمسون مترا يمتد باتجاه الجنوب الشرقي من النهاية الشرقية لهذا السد. وقد أحدثت في هذا السد عدة ثغرات بسبب التيار من ناحية ولإقامة القناة الخاصة بالسد الحديث من ناحية أخرى. وكان هذا السد يشبه في بنائه السد الأول بشكل عام. وكان هذان السدان القديمان قد أقيما لغرض حماية واحة طرابلس، كما هي الحال بالنسبة للسد الحديث، من فيضان وادي المجينين المعروف بأنه أعنف أودية منطقة طرابلس، ولتحويل مياه هذا الوادي الفائضة إلى سهل الجفارة الذي يمكن تحويله إلى ذرة خصبة إذا ما توافرت له المياه الكافية. وهنالك أيضا بقايا سد كبير أقيم من أجل أغراض الري في وادي الحيرة على بعد ستة عشر كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من العزيزية.

ومعظم السدود الباقية الكثيرة التي نجد آثارها في أودية طرابلس كانت صغيرة، وكان الغرض من إقامتها حماية التربة من الانجراف. وكان حجمها وشكلها يتقرر وفقا لطبيعة مجرى الوادي الذي تقام عليه؛ فحيث كان مجرى الوادي متسعا وغير عميق كانت مثل هذه السدود لا تعدو أن تكون جدرانا حجرية منخفضة وغير سميكة. فنحن نجد وادي غرزة مثلا يتسع

عند غرزة إلى ثلاثمائة ياردة، ولذلك فقد قسم إلى عدة حقول مستطيلة بسدود من هذا النوع الحجري المنخفض وكان بين الحقل والذي يليه مسافة ستين ياردة. أما في الأودية العميقة الضيقة فإن قوة التيار كانت تستدعي إقامة سدود منيعة من الإسمنت بحيث تأتي متتالية عبر الوادي ويسمح السد الأعلى مناه بفيضان شيء من الماء إلى السد الذي يليه ويقل عنه ارتفاعاً وبذلك تكون قوة التيار قد أضعفت تدريجيا. ولعل أحسن أمثلة لهذا النوع من السدود هي تلك الموجودة في وادي الزميط عند تقاطعه مع الطريق الرئيسي بين طرابلس والخمس إلى الشرق من فندق النقازة، وتلك الموجودة في وادي المي على يسار طريق القصبات - ترهونة وبعد قصر الداوون بقليل.

الأضرحة:

إن عادة بناء الأضرحة أو القبور المشهورة كانت شائعة في معظم الولايات الرومانية، ومما زاد في انتشارها في شمال إفريقيا عادة عبادة الليبيين لموتاهم. ولذلك فنحن نجد هذه الأضرحة في معظم أنحاء منطقة طرابلس كما نجد أمثلة منها في برقة وفزان. ولكن ما كان منها على الساحل الطرابلسي قد خرب تخريبا شنيعا ونقلت حجارته واستعملت في أماكن أخرى. وإذا أردنا أمثلة لا تزال في حالة جيدة فعلينا أن نتوجه إلى الجبل الغربي، والأودية الواقعة جنوبيه، ومزارع الحدود. وبالامكان تصنيف هذه الأضرحة إلى صنفين: أضرحة معابد وأضرحة مسلات وأحسن مثال على الصنف الأول في شكله البسيط هو الضريح المشهور في جرما بفزان، وربما كان الأحد التجار الرومانيين المقيمين، ويرجع تاريخه إلى حوالي سنة 100 م. وهو يقوم على أساس مستطيل تحيط به درجات ثلاث ويتكون من غرفة لحد قائمة الزوايا أمامها مصطبة ذات عمودين إيونيين طليقين. وكان اللحد مبنيا من الإسمنت بينما كان باقي الضريح مبنيا من الحجر الكلسي.

وهنالك نموذج ممتاز لأضرحة المعابد، لا يزال في حالة جيدة، في المقبرة الشمالية في غرزة على بعد قليل إلى جنوبي المزرعة المحصنة وعلى نفس الضفة من الوادي الرئيسي. وقد بني بالحجارة الكلسية وبرز جانباه الشمالي

والجنوبي نحو الشــرق ليتصلا بأدراج تفضي إلى المصطبة الأمامية. أما غرفة اللحــد فهي محاطة من جوانبهــا الأربعة بأعمدة طليقــة: أربعة منها في المقدمة ومثلها في المؤخرة، وخمسة على كل من الجانبين إذا ما عددنا أعمدة الزوايــا مرتــين. ولهذا الضريح إفريز من النوع الــدوري مزين بنقوش من باقات الزهر والتروس ســعف النخل. وعلى نهاية غرفة اللحد من الجهة الشــرقية نقشــت الكتابة الخاصة بالضريح بين نسرين مفرودي الجناحين. وكان المدخل الحقيقــي لهذه الغرفة في القســم العلوي من الواجهــة الجنوبية، وقد كان يوصــد بمزلاج حجري يقفــل بعد إدخال الجثمان إلى غرفــة اللحد العارية من الداخــل. ويرجع بناء هــذا الضريح إلى القرن الميلادي الرابــع. ولدينا مثال آخر على هــذا النوع من الأضرحة وهو أقدم من المثال الســابق ولكنه غير كامل، وهــو موجود في قصــر البنات في وادي نفد قرب المزرعــة المحصنة هناك. وهي المزرعة التي سبقت الإشارة إليها. وفن النحت المتبع في الضريح وفي المزرعة متشــابه إلــى حد كبير، وربمــا كان بنيــان الضريح يرجع إلــى نفس الضريح الذي أنشــئت فيه المزرعــة أي إلى النصــف الأول من القرن الميــلادي الثالث. وأثــار الضريح التــي لا تزال في مواضعهــا الأصلية هي عبــارة عن غرفة لحد مســتطيلة في حالة جيدة وأمامها درج وفــي داخلها أقواس حجرية مزينة. وكانــت غرفة اللحد هذه بأعمدة يربطها ببعضهــا البعض إفريز من الطراز الدوري ســقطت قطع منه على الأرض أمام الضريح. وقد نقش عليه أسماء الشخصيين اللذين أقاماه.

وبالإضافة إلى هــذه الأمثلة توجد أضرحة كثيــرة مختلفة الأحجام في مقبرتي غرزة الشــمالية والجنوبية يحمل معظمها زخارف منقوشــة نقشا بارزا وتمثل مشــاهد منتزعة من الحياة اليومية للمستوطنة نفسها من مثل الحراثــة على الجمال والثيران والخيل، وحصد الشــعير ودرســه، ومناظر قوافل الجمــال. ومشــاهد الصيد مــن الموضوعات المفضلــة وتظهر فيها الأســود والفهــود والبقر الوحشــية والنعــام بالإضافة إلى رســومات حيوانات رمزية كأســود رســول الآلهة والســمك الذي يرمز الأرواح الموتى. وتظهر على إفريز مشــهور من أفاريز غــرزة، موجود حاليا في اســطنبول بتركيا، صورة الرئيس

المتوفى وهو جالس على عرشــه ومن حوله أفراد أســرته يقدمون له الطعام والشراب. ويتجلى مدى العناية التي كانت تكرس لمبدأ تغذية الموتى في وجود قنــوات في العديد من أضرحة غرزة تؤدي إلى قلب اللحد وتســمح بأن تصب فيها المشروبات والأغذية السائلة.

والنوع الثاني الرئيســي من الأضرحة فــي منطقة طرابلس هو الأضرحة التي تشــبه المسلات في شــكلها. فالضريح من هذا النوع هو عبارة عن بناء مرتفــع كالبرج، زواياه قوائم أو قريبة من ذلك ويتكون من ثلاثة طوابق الثالث منها يشبه مسلة هرمية رقيقة. ومن الأمثلة القديمة على هذا النوع ضريح قصــر أم أحمد في وادي نَفَد. ويدل مســتوى النحــت الرفيع الذي يتجلى في بنائه على أن تاريخه يرجع إلى القرن الميلادي الثالث. وتتحلى زوايا طابقه الأول بأعمــدة كورنثية صغيرة متوجة بإفريز دوري وكرنيش. وقد زين الإفريز بصورة نصفية وباقات من الزهور. وتبرز من زوايا الطابق الثاني أعمدة كورنثية يقوم على رؤوســها إفريز مزين بالخضروات وفي واجهته الشرقية باب غير حقيقي. وترتفع فوق كرنيش الطابق الثاني مباشرة مسلة الضريح التي هي عبارة عن الطابق الثالث.ويتجلى هذا المخطط بصورة مبســطة في ضريحين أحدث من الضريح الســابق ويعرفان باسم المسلتين وينتصبان متجاورين في وادي مردم على بعد ثلاثين كيلومترا إلى الشرق من بني وليد.

ويظهر تنوع شــديد فــي الأضرحة المســلية الأخرى خاصة فــي الطابق الثاني منها، ففي ضريح في وادي مسوجي على بعد حوالي أربعين كيلومترا إلى الغرب من بني وليد نجد الطابق الثاني مكونا من تســعة أعمدة كورنثية ســميكة مرتبة في ثلاثة صفوف: ثلاثة منها في كل صف. وفي أحد جوانب طابقه الأول يظهر باب غير حقيقي بينما تظهر صور نصفية وصور حيوانات مفترسة منقوشــة على الإفريز الذي تحمله أعمدة الزوايا. وفي حالات كثيرة يتخذ الطابق الثاني في الأضرحة المســلية شــكل هيكل صغير. وفي سنة 1933 م. كان ضريح من هذا الطراز لا يزال قائماً بحالته الأصلية في المقبرة الجنوبيــة في غرزة، ولكن هزة أرضيــة حدثت بعد ذلك دمرت الطابقين الثالث والثانــي منه. ويلاحظ وجود بــاب غير حقيقي في أحد جوانــب الطابق الأول

كما تنتصب في زواياه أعمدة كورنثية يعلوها إفريز. وعلى جدار الباب غير الحقيقي صورتان نصفيتان بينهما صورة طفل وإلى يمينهما صورة في وضع طائر وهي تمسك تاجا بيد وقرطاسا مطويا باليد الأخرى. ولعلها تمثيل غير متقن لآلهة النصر. أما المعبد الصغير الذي هو الطابق الثاني من هذا الضريح فهو يرتكز على قاعدة رقيقة وتتجه مقدمته بحيث تكون زواياه قائمة مع الباب غير الحقيقي الموجود أسفل منها. وغرفة اللحد فيه غير عميقة وهي مفتوحة من الأمام ويتصل بكل من زاويتيها الخلفيتين عمود كورنثي بينما تقوم أمامها مصطبة ذات أقواس. مرتكزة من ناحية مقدمتها على عمودين كورنثيين طليقين. وفوق كرنيش الطابق الثاني تنتصب مسلة رقيقة توج رأسها على غرار تيجان الأعمدة الكورنثية.

وقبل الفراغ من الحديث عن الأضرحة لابد لنا من أن نشير إلى ثلاثة أضرحة مهمة لا تتبع لأي من الأنواع الثلاثة التي سبق ذكرها. وأول هذه الثلاثة هو ضريح هنشير سوفيت (Henseir suffit) الواقع على مسافة قصيرة من طريق يفرن _ غريان على بعد خمسة كيلومترات إلى الشرق من يفرن وقرب المزرعة المحصنة التي لا تزال قائمة هناك في حالة جيدة. ويحمل الطابقان اللذان لا يزالان قائمين من هذا الضريح أوجه شبه قوية لنظيريهما في الأضرحة المسلية ذات المعابد الصغيرة المقامة في طوابقها الثانية. ولكن من المشكوك فيه أن بناء ضخما مثل هذا البناء كان ينتهي بمسلة إذ أن الأقرب للعقل أن يكون منتهيا بهرم منخفض. وهو يقوم على أساس بسيط من البناء المقام كتسوية لسطح الصخر المائل. وفي هذا الأساس غرفة لها باب مقوس في جزئها الأمامي. وفي جدرانها الداخلية ستة تجاويف صغيرة. ربما كانت لحفظ القوارير. ويقوم الطابق الأول من هذا الضريح على قاعدة ترتكز على التسوية المذكورة. وقد زينت زوايا هذا الطابق بأعمدة كورنثية تحمل إفريزا مزخرفا وكرنيشا. وترتكز مصطبة الطابق الثاني على عمودين مربعين طليقين وهما من النوع الكورنثي الضخم يصلهما قوس من الأمام ويتصلان مع جدران جوانب غرفة اللحد بوصلات أفقية قصيرة. وكانت الأوجه الأمامية والجانبية لكل من هذين العمودين مزينة بأعمدة كورنثية صغيرة

كما كان هنالك عمود واحد متوسط الحجم وله جانبان فقط في كل من الزاويتين الخلفيتين لغرفة اللحد.

والضريح الثاني يعرف باسم (الصنمة) ويقع فوق وادي البئر الوعر في منتصف الطريق بين غريان ووادي الحمَّام على الطريق الجنوبي من غريان إلى ترهونة. ومخطط هذا البناء مربع ويقوم على أساس منخفض ومدفون جزئيا. ولا بد أنه كان يتكون من ثلاث طوابق على الأقل؛ بقي منها اثنان في حالة جيدة. وفي منتصف الجانب الجنوبي الشرقي من الأساس دهليز نفق يقضي إلى غرفة القبر المقوسة التي توجد في مؤخرتها ثلاث تجويفات لبقايا الموتى: واحد يواجه المدخل وواحد في كل من جداري الجانبين الآخرين. وقد عومل الطابق الأسفل كأساس له كرنيش بارز. أما الطابق الثاني فقد زين بأعمدة كورنثية صغيرة. أربعة منها على كل جانب من الجوانب الأربعة. ويلاحظ أن ما أقيم من هذه الأعمدة في الزوايا له وجهان فقط. وعلى الجانب الجنوبي الشرقي مثل العمودين المتوسطين بتاجيهما فقط بينما حفر على الفراغ الناتج تحت التاجين باب غير حقيقي له إطار مزخرف وعلى جانبيه صور نصفية لفتاتين. على شكل مداليتين. ويعلوه حزام أبيض معد للكتابة. وأمام الباب الغير حقيقي رسم بطريقة الحفر البارز حيوان مفترس يطارد حيوان آخر ثم حيوان ثالث بين قوارين. أما الطابق الثالث على شكل مربع من الأعمدة التي كانت على ما يبدو تحيط بأحد المعابد الصغيرة. ويدل مستوى فن النحت الرفيع المستخدم في هذا البناء على أنه يرجع إلى فترة القرن الميلادي الثالث.

وأخيرا لابد ن الإشارة إلى الضريح الفخم المعروف باسم قصر دوغا. الذي تقع آثاره على بعد ثمانية كيلومترات إلى الشمال الشرقي من ترهونة وعلى بعد أقل من كيلو متر واحد من مدينة دوغا (مسفى القديمة). وبناء هذا الضريح قائم الزوايا وهو يقوم على أساس مستطيل يرتفع بمقدار درجتين عن سطح الأرض. وكان في الأصل يتألف من ثلاث طوابق لا يزال اثنان منها قائمين وهما متشابهان بشكل عام في أساسهما وفي أعمدتهما ذات الوجهين التي زينت بها زواياهما. وفي أن كلاًّ منهما توج بإفريز أبيض وكرنيش. وأعمدة

الطابقين لا تقوم على قواعد مستقلة عن أساس الطابق، ولكن أعمدة الطابق الثاني تختلف في تيجانها عن أعمدة الطابق الأول. وكانت تحيط بالطابق الثالث أعمدة كورنثية عددها جميعاً ثلاثون عموداً موزعة حسب الترتيب الآتي (إذا ما عددنا أعمدة الزوايا مرتين): ستة في المؤخرة، أربعة في المقدمة، تسعة على كل من الجانبين واثنان خارجيان في فتحات البناء. ومن المحتمل انه كان وسط هذا المحيط المعمد غرفة لحد من نوع ما، ولكن لم يبقى لها أثر. وتحت هذا البناء فسقيتان متصلة كل منها الأخرى، ويوجد في الداخلية منهما مقعدان حجريان منخفضان بمحاذاة جدارهما الخلفي. وفي الجدار المقابل للجدار الخلفي ثلاث تجاويف صغيرة فوق المدخل ربما كانت قد أعدت لكي توضع فيها المصابيح. ويدل مستوى فن النحت المستعمل في هذا البناء على أن تاريخه يرجع للقرن الميلادي الثالث.

القبور المستديرة في قورينة ومغيرنس (Meghernes):

تقسم القبور في قورينة إلى نوعين: نوع قائم منفرد، وهو أما مدور أو مربع أو له درج، ونوع محفور في الصخور. وقد قامت بعثة جامعة مانشستر بحفر وتخطيط ثمانية قبور ودراسة وتخطيط أربعة عشر قبرا آخر في مدينة قورينة.

ومن المتعارف عليه أن أقدم قبرين في قورينة هما قبر باتوس الأول وقبر أحد مصارعيه من أبناء دلفي وهو رجل اسمه أونوماستوس (Onomastus)، والقبر الأول أكبر من الثاني وقد تم التعرف عليه بناء على اشارة الشاعر الإغريقي بندار (حوالي 518 – 438 ق. م.) الذي يتحدث عن باتوس الأول ثم يقول: «إنه الآن يستريح منفردا بعد موته. في الطرف البعيد من السوق في قورينة». ويقوم فوق هذا القبر بناء إسطواني الشكل يتكون من صفوف أفقية من الحجارة المنحوتة التي قدر الأثريون الإيطاليون معدل أبعاد الواحد منها بـ 125 سم طولا و35 سم ارتفاعا. وهذا طراز لا يمكن أن يكون معاصرا للقبور المستديرة التي كانت شائعة الاستعمال في بداية استيطان الإغريق لقورينة في بداية القرن السابع قبل الميلاد. والتي كانت عبارة عن دائرة منخفضة من الحجارة القائمة كان الجثمان يدفن بداخلها ثم تقام كومة من

التراب على شكل مخروط. ويظهر من أسلوب قبر باتوس أنه يرجع إلى عصر هدريان الذي جدد أبنية كثيرة في قورينة وغيرها من المدن الليبية في أعقاب تخريب اليهود لها. وربما كان هذا البناء المجدد قد أقيم مكان بناء سابق شيد في مطلع العصر الروماني ثم دمر خلال الثورة اليهودية في عهد تراجان. وقد يكون هذا القبر بني عدة مرات فوق المكان الذي دفن فيه باتوس أصلا. ومما لا شك فيه انه كان في البداية سطحيا وبسيطا. ويبلغ نصف قطر هذا البناء الاسطواني تسعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار وخمسة وعشرين سنتيمترا وله مدخلان واحد في الجهة الشمالية الغربية والآخر في الجهة الجنوبية. وفي داخل هذا البناء الخارجي من جهة الشرق توجد بقايا مذبح شبه دائري لا تزال أجزاء من أساسه تغطي الدرجات العليا من سلم الدرج الحجري الدائري الخاص بالقبر الروماني المذكور سابقا. ومقابل هذا المذبح مصرفان صغيران كان دم القربان، أو ما يقدم من السوائل، ينزل خلالهما إلى الميت. وهناك مصرف آخر كبير يؤدي من الداخل إلى الخارج لتصريف المياه التي كان هذا النصب يغسل بها.

وفي المقبرة الغربية في قورينة خمسة قبور مستديرة ومرتبة على شكل هلال يرجع تاريخها جميعا إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد. وأسلوب هذه القبور قديم اذ ان الواحد منها هو عبارة عن دائرة من الحجارة الكبيرة المنفرجة والتي يبلغ ارتفاع الواحد منها حوالي 115 سم ويدل مظهرها على أنها قطعت قطعا خشنا ولم تهذب. وقد عبئت الفجوات التي بينها بحجارة صغيرة. وتتراوح أنصاف أقطار هذه الدوائر بين 532 سم و 932 سم. وكان الجثمان يودع داخل لحد تغطيه البلاد في وسط دائرة. وبعد الدفن كانت تقام على اللحد كومة من التراب على شكل مخروط تنتهي أطرافه السفلى بحجارة الدائرة.

القبور المربعة:

في نهاية أول الوادي في على يمين الطريق من قورينة إلى أبولونيا يوجد قبر يرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد. وتتكون

جوانب اللحد الأربعة من أربعة قطع ضخمة من الحجارة وضعت أفقيا على أساس ذي أربعة درجات. وقد قسم داخل هذا القبر إلى قسمين مستطيلين ومتوازيين ثم قسم كل من هذين القسمين إلى قسمين متشابهين وسقف جميع هذه التقسيمات ببلاط من الحجارة يشبه الطوب.

القبور ذات الدرج:

هنالك عدد من القبور من هذا النوع في المقبرة الشرقية في قورينة يعود تاريخها إلى العهد البطلمي، وهي من النوع الذي وجد بكثرة في الإسكندرية في نفس العهد. وكان رماد الجثمان يوضع في وعاء من الفخار يدفن تحت الدرجة السفلى.

القبور المحفورة في الصخور:

في الناحية الجنوبية من أول واد على اليمين بالنسبة للذاهب من قورينة إلى أبولونيا قبر من القرن الرابع قبل الميلاد. له فناء مكشوف، وفي مؤخرة الفناء ثلاثة تجاويف. وعلى أحد جوانبه سلم درج قصير يفضي إلى لحد خشن مستو من وجهه العلوي. وكان هذا القبر خاصا بامرأة كما تدل كتابة منقوشة على أحد جانبية وتكاد ان تمحى الآن. وهناك رف بين هذا اللحد ومقدمة التجاويف خاصة بالتماثيل. وقد نقش اسما صاحبي اثنين من التجاويف فوق بابيهما:

الأوسط كان لأرخيبا (Archipa) ابنه مينودورس (Menodoros)، والأيمن كان الأصل لجثمانين هما جثمان دراكون (Drakon) بن بوسيدبوس (Poseidippos) وجثمان ابنة أجليمونا (Aglemona). وقد وجدت في هذا القبر بعد العاديات وزجاجة دموع ومرآة برونز ودبوس شعر من العاج[3].

المعابد والهياكل والأصنام في منطقة طرابلس:

إن طبيعة الديانة الليبية القديمة لم تكن تتطلب بناء المعابد. والمعابد

3- Cyrenaican Expedition of University of Manchester, 1952, Manchester University Press, 1956, edited by Alan Rowe, with contriputions by Dererk Buttle & John Gray, pp. 19 – 26.

التي وجدت خارج المدن الساحلية في المنطقة طرابلس كانت قليلة، كما أنها كانت جميعا، باستثناء واحدة منها، عبارة عن هياكل ريفية متواضعة لا تمت إلى فن النحت بصلة. ويتمثل أبسط أنواع هذه الهياكل في بقايا بناء صغير في الجديدة (Sghedeida) في الطرف الجنوبي من واحة طرابلس. وتدل آثاره على أنه كان بناء مربع تقوم في وسط واجهته الأمامية فتحة أشبه بالنافذة، وكانت تقوم في زواياه أعمدة ذات وجهين. ونستدل من الهدايا المقدمة لهذا الهيكل على أن تاريخه يرجع إلى القرن الميلادي الثالث. وقد كان في مواجهته مذبح أُحيط فيما بعد بجدار مربع.

وهناك مثال آخر على هذه المعابد هو الأثر المسمى قصر تنيناي في وادي تنيناي على بعد حوالي تسعة عشر كيلومتر إلى الشمال الغربي من نقطة التقاء هذا الوادي مع وادي سوف الجين. وهذا المعبد أفخم من المعبد السابق وكان مبنيا بحجارة كلسية، وهو يتكون من صالة مستطيلة تتقدمها أمام مدخلها مصطبة قائمة على عمودين كورنثيين. وبالاضافة إلى هذا الباب الذي يقضي إلى المصطبة كانت للصالة نافذة مقوسة في أحد جوانبها، وربما كان الغرض منها تمكين الناظر من رؤية تمثال المعبود عندما يكون الباب مقفلا. وما يثبت أن هذا البناء كان معبدا وليس ضريحا قطعة افريز وجدت قريبة منه كتب عليها ان الذي بناه هو تيطس فلافيوس كابيتو (Titus Flavius Capito). ويرجع تاريخ الكتابة إلى حوالي سنة 200 م. وهناك آثار ربما كانت أسس معبدين آخرين من هذا النوع: الأول منهما لا يزال أساسه موجودا في رأس الحداجية على بعد كيلومتر واحد إلى غرب من الخضراء (قرب ترهونة). وقد وجدت في موقعه كتابه بالأحرف البونيقية الحديثة تقول إن المعبد وتمثال المعبود الذي كان فيه وممره المعمد المستور كرسها الليبيون جميعها للإله آمون بين سنتي 15 و 16 للميلاد. أما المثال الثاني فيقع في قراريط قصير التراب (= نصب الأخوين فيليني) بالقرب من آثار النصب الذي أقامه الإمبراطور ديوقلتيان علامة للحدود.

والمعبد الريفي الوحيد المهم هو المعروف بقصر الجزيرة وهو يقع على بعد أربعة كيلومترات باتجاه الشمال من الكيلومتر 166 على طريق يفرن

– جادو. وهذا المعبد في حالة جيدة نسبياً وهو مبني بالحجر الكلسي الجيد وربما كانت قد شيد في مطلع القرن الميلادي الثالث. أما بناؤه فهو عبارة عن مستطيل في وسطه صالة يقوم على جانبيه جناحان مفتوحان من الأمام. وكان البناء جميعه مسقوفاً بعوارض خشبية ثبتت أطرافها في فتحات مناسبة في أعالي الجدران، وأغلب الظن أن هذا السقف الخشبي كان مغطى بطبقة من الطين. ولصالة هذا المعبد الرئيسية باب واحد في واجهتها الأمامية. وقد وجد بالقرب من موقع هذا المعبد نقش (هو الآن في متحف طرابلس) يخلد ذكرى إقامة تمثال لهرقوليس، الإله الروماني الذي حل محل ملكارت الفينيقي.

أما بالنسبة للأصنام فان المستر هـ. س. كوبر، الإنجليزي الجنسية، قام بين 1895 و 1896 بزيارة ستة وسبعين موقعاً أثرياً في هضبة ترهونة كان معظمها يشمل هياكل من نوع الأصنام، وهو يقول في حديثه عنها[4]:

«ومع انه يلوح أن مواقع الأصنام موجودة في كل مكان ضمن هذا البلد إلا أننا قد نكتشف شيئا من قائمة أسماء المناطق التي توجد فيها الأصنام فعلاً:

1- وادي دوغا،

2- وادي ترقورت الموازي للوادي الأول،

3- السهل المجاور لمصب وادي ترقوت من جهة الشمال،

4- هضبة ترهونة،

5- الأرض المرتفة إلى غرب ترهونة حيث تتصل بغريان،

6- هضبة فرجانة ومناطق عزة ومعمورة إلى الجنوب حيث يمر القسم العلوي من وادي ترغلات،

7- وادي كسية وداوون،

8- الأراضي المنحدرة من القصبات ومسلاته إلى خوائب لبدة بما في ذلك

4- كوبر . هـ. س. . مرتفع الاهات الجمال : استكشاف الهياكل الثلاثية والمواقع المغليثية في طرابلس . (ترجمة انيس زكي حسن . نشر مكتبة الفرجاني . طرابلس ليبيا) . ص115 – 164 .

الخراب أيضا.

وللمواقع المختارة للأصنام ميزات متشابهة، فهي غير موجودة على القمم العالية فان وجددت على بعض سفوحها، كما أنها غير موجودة في الأراضي المنخفضة أيضا، وإنما تنحصر في المرتفعات المتوسطة في السهول، وفي التلال الصغيرة التي تواجه الشمس فوق الهضاب».

ويقسم كوبر آثار الخراب في المواقع التي زارها إلى صنفين:

1- محوطات،

2- أصنام.

1- المحوطات:

وهي عبارة عن أبنية هياكل أو مذابح أو أصنام محاطة بجدار، وفي معظم الحالات نجد جدران المحوطات ممهدة حتى أسسها. وتبين مخططات المحوطات إنها كانت في الغالب تشغل مساحة مستطيلة يتراوح طولها بين 70 إلى 250 قدما. وكانت تستخدم في بناء المحوطات الكبرى حجارة كبيرة مرصوفة رصفا جميلا، ولكن ارتفاع جدرانها في الأصل لا يمكن تعيينها نظرا لتهدمها جميعا باستثناء وجود أبنية في بعض المواقع ما زالت بعض أجزائها قائمة إلى ارتفاع أربعة عشر قدما من مثل صنم عارف.

2- الأصنام:

يتراوح ارتفاعها بين ستة أقدام وخمسة عشر قدما، وهي توجد عادة بالقرب من جدران المحوطات الخارجية على جانب واحد أو أكثر وتتألف من أبنية مسطحة الحجارة يبلغ الواحد منها ضخامة الباب العادي أحيانا. والشكل الغالب على بنيان الأصنام هو شكل الهيكل المغليثي المؤلف من عمودين قائمين[5] ويتكون الواحد من حجر واحد أو من حجرين وفوقهما حجر أفقي وأكثر. وتتراوح سعة الفجوة بين العمودين ما بين 13 إلى 25 بوصة. وكان العمودان يثبتان في قاعدة حجرية تنقر إلى عمق بوصتين أو أكثر قليلا، ثم

5- نحن ميالون إلى القول ان هذه الآثار التي اعتبرها كوبر أصناما انما هي بقايا معاصر زيتون رومانية صغيرة درست معظم آثارها الأخرى . أنظر أيضا ص597 اعلاه .

تنحت حواشي العمود من جهته السفلى حتى تصبح مناسبة للدخول في القاعدة. وتلاحظ في جوانب أعمدة الأصنام ثقوب تكون نافذة في عمود ونصفية العمق في العمود الآخر. وربما كانت الغاية منها وضع المزاليج أو العوارض الخشبية المربعة بحيث توضع الواحدة منها في الثقب الجانبي النافذ في أحد العمودين وتثبت نهايتها في الثقب النصفي العمق في العمود الآخر. وبالإضافة إلى تلك الثقوب الجانبية في الأعمدة كانت في عدد كبيرة من الأصنام ثقوب محفورة في الزوايا لابد أنها كانت تستخدم أيضا لتثبيت عوارض خشبية من اجل أغراض البناء المختلفة كإقامة وصلة بين الصنم والمذبح مثلاً. ومما يؤيد هذا الرأي أننا نجد ثقوب الزوايا، في معظم الحالات، في مواجهة المذبح.

ويقارن كوبر بين شكل هذه الأصنام وأشباهها في طقوس الديانات القديمة الأخرى من مثل المسلات الثنائية أمام المعابد المصرية، والتماثيل النحاسية أمام هيكل سليمان، والأعمدة الذهبية والزمردية أمام معبد ملكارت بصور في فينيقية، وصنم فينوس المخروطي الذي يظهر على القطع النقدية القديمة في قبرص، وهو يجد شبها كبيرا بين شكل الصنم وبين شكل الرمز الذي يظهر على الأختام البابلية المخروطية التي يظهر عليها «كاهن يتعبد أمام حسكة من أوتاد خشبية تربط بين رمزين: الأول عمود في رأسه مخروط، والثاني يتألف من عمودين فوقهما عارضة أفقية، وعارضة أفقية أخرى في الأسفل. فهذا الشكل شبيه بالصنم بالضبط (مع عارضة داخلية في الثقوب الجانبية)، وقد وضع هذا خلف المذبح بنفس الطريقة»[6].

وواضح من هذا التشابه القوي بين شكل الأصنام الليبية والرمز على الختم البابلي أن الليبيون القدماء ربما كانوا قد اخذوا بعض الطقوس الدينية عن البابليين منقولة بوساطة الفينيقيين الذين كانوا همزة الوصل بين بلدان المشرق والمغرب في هذه الفترة. ولقد سبق أن أشرنا إلى أن الليبيين نقلوا كثيرا من الآلهة عن غيرهم من الشعوب التي احتكوا بها من مثل المصريين والفينيقيين والإغريق والرومان. ونضيف هنا ملاحظة جديرة بالاهتمام هي أن

6- المرجع السابق ص 154 – 155

الرومان لم يكونوا يتعرضون بسوء لديانات الشعوب الداخلية ضمن حدود إمبراطوريتهم ما دامت تلك الديانات لا تتعارض مع السياسة والمصالح الرومانية.

ولما كنا لا نعرف على وجه التحقيق شيئا عن الطقوس التي كانت تجري في هذه الأصنام فانا نرى هنا أن نقتبس شيئا ذا دلالة نظرية كوبر حول هذا الموضوع حيث يقول:

«وإذا سمح لي القارئ بمزيد من النظريات فقد يكون في وسعي أن أشير إلى أن الثقوب المحفورة في الزوايا في ناحية المذبح من الصنم تصلح لنصب هيكل خشبي من النوع الذي يظهر في الختم البابلي ولربطه بمحوطة تجري في داخلها بعض تلك الطقوس الفظيعة المتعلقة بعقيدة مولك [= ملكارت = إله النار الفينيقي]. فإذا كانت الفجوة بين عمودي الصنم هذا المكان الذي يقوم الكاهن بإدخال الضحية منه، وكانت الثقوب الجانبية تحتوي عوارض تغلق بعد ذلك لتدل على أن العالم قد ترك في الخلف، فيمكننا أن نتصور تفسيرا رهيبا لذلك الغموض. فالمدخل بين العمودين يعني هنا التناسل أو المولد الجديد، وتتبع ذلك تضحية أو عملية تطهير بالمرور وسط النار، لأنه بالرغم من كون الفجوات ضيقة بحيث إنها لا يمكن أن تستعمل كأبواب اعتيادية، إلا أنها تكفي لهذا الغرض لأن الضحايا كانوا دائما من صغار السن... وفي حالة التطهير بالنار نجد مجالا كافيا بين الصنم والمذبح لإشعال نارين متجاورتين»[7].

وتاريخ هذه الأصنام مازال غامضا لقلة الحفريات التي أجريت في المنطقة، ويذهب كوبر، بالاعتماد على القليل المعروف من تاريخها، إلى أنها لم تشيد في وقت واحد بل خلال الألف سنة التي سبقت سيطرة الرومان على منطقة المدن الثلاث، كما يشير إلى أن الليبيين الذين شيدوها بدأوا يمارسون طقوسهم فيها منذ البداية، وظلوا كذلك طيلة العهد الفينيقي وحتى بعد خضوعهم للسيطرة الرومانية قبيل تاريخ الميلاد.

7- المرجع السابق ص 158 – 159 .

ونشير فيما يلي إلى عدد قليل من الأصنام التي تحدث كوبر عنها على سبيل المثال لا الحصر:

1- صنم بو سيدة: ويقع على تل صغير على مسافة قصيرة من مصب وادي دوغا في الناحية الشمالية من ترهونة.

2- صنم العارف: ويقع على مسيرة عشرين دقيقة من الصنم السابق، في وادي دوغا بين جبل العارف وجبل الأحمر، وهو في الناحية الجنوبية من الوادي تحت التل وبالقرب من مجرى مائي فرعي صغير.

3- صنم قرب قصر دوغا: ويقع على قمة تلة على مسيرة نصف ساعة إلى الشمال الشرقي من قصر دوغا، وارتفاعه غير مألوف إذ يبلغ ارتفاع كل من عموديه تسعة أقدام ونصف القدم وسمكهما من الخارج إلى الداخل قدمين، ومعدل اتساع الفجوة التي بينهما ستة عشر بوصة.

4- صنم كوم أسلاس: يقع على قمة بارزة في هضبة ترهونة مما يمكن المسافر من رؤيته عن مسافة بعيدة في مختلف الاتجاهات لأنه أعلى من القمم المحيطة به، وفي جميع أنحائه، وخاصة في الجنوب الغربي، توجد آثار مختلفة بعضها من نوع الأصنام وبعضها الأخر بنايات رومانية. وارتفاع عموده الأيمن سبعة أقدام أما الأيسر فهو أطول من الأول بنصف قدم، والفجوة بين العمودين تبلغ عشرين بوصة. والحجر الأعلى الأفقي مكسور الآن ولكنه كان قطعة واحدة سمكها خمس عشرة بوصة.

5- صنم الغرابة: يقع في وسط كنسية إلى الجنوب الغربي من جبل مسيد والشمال الشرقي من فرجانة. ونصل إليه في فرجانة عبر شعبة الخيل ووادي داوون وكرمة الحثية، ويبلغ ارتفاع كل من عموديه أحد عشر قدما، وسمك عارضته العليا عشرين بوصة، واتساع الفجوة بين العمودين ثمانية عشرة بوصة. وأبرز ميزات هذا الصنم وجود نقش على الوجه الجنوبي لعموده الأيسر يمثل حيوانا غريبا ذا جسم مطول ورأس مرفوع نسبيا وذيل قصير. وتدل خطوط النقش العميق على أن هذه الصور تعود إلى نفس الفترة التي شيد فيها الصنم.

الكنائس المسيحية:

تم حتى الآن اكتشاف آثار تسع كنائي مسيحية في منطقة طرابلس: أربعة منها في حالة أثرية مرضية وخمس في حالة سيئة. والأربع الأولى هي في مواقع الخضراء والأصابعة وشفاجي عامر وقصر السوق اللوطي. أما الخمس الأخرى فهي في مواقع:

1- قصر المعمورة في وادي جزي على بعد سبعة عشر كيلومترا شرقي قصر داوون.

2- عين ويف أو ثنداسا القديمة (Thendasa)، وهي مبنية على أسلوب الباسيليكا.

3- قرب تبادون (Tebedut) على بعد حوالي كيلومترين إلى الجنوب الشرقي من قرية الأصابعة، وهي أيضا على أسلوب الباسيليكا.

4- قرب بئر الكور على بعد (18) كيلومترا إلى الشرق من غريان، وهي كذلك على أسلوب الباسيليكا.

5- في وادي كرمة بالقرب من التقائه مع وادي زريت (Zaret) وعلى بعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الغرب الشمالي من الأصابعة، وهي أيضا على أسلوب الباسيليكا.

أما الأربع الأولى فهي في المواقع التالية:

1- الخضرا: على رأس تلة إلى الجنوب من طريق ترهونة – القصبات، وعلى بعد ثمانية كيلومترات إلى الشرق من مركز قرية الخضراء. وكانت في الأصل عبارة عن بناء مستطيل بسيط له مدخل في الطرف الشرقي من الواجهة الشمالية، وكان يقسمها طوليا إلى صحن وممرات صفان من الأعمدة في كل منهما أربعة أعمدة. وقد أضيفت لهذه الكنيسة فيما بعد الغرف وجرن معمودية مصلب من النوع البيزنطي.

2- غربي مديرية الأصابعة وعلى بعد كيلومتر واحد إلى الجنوب من رأس الوادي. وهنالك طريق تؤدي إليها وتتفرع من طريق غريان – يفرن على

مســافة قصيرة إلى الغرب من المديرية. وكان بناء هذه الكنيسة مستطيلا على غرار الباسيليكا، وقد وجدت فيها مجموعة من النقود التي تدل على أن الكنيسة وجدت قبل العهد البيزنطي.

3- وادي بزرة: على بعد حوالي عشــرين كيلومترا إلى الجنوب الشــرقي من بني وليد بالقرب من المســتوطنات المحصنة الثلاث المعروفة باســم قصر السوق اللوطي. وقد كانت على غرار الباسيليكا كما أنها حولت بعد الفتح الإسلامي إلى مسجد.

4- شــفاجي عامــر: على احد روافد وادي ســوف الجين علــى بعد حوالي خمســة وعشــرين كيلومترا إلى الشــرق مــن مــزدة، وهي أيضا علــى غرار الباسيليكا ويرجع بناؤها إلى ما قبل العهد البيزنطي.